المسلمين واليهود · يكفينا هذا القدر من « الحقائق » لنحكم على صفات الموضوعية والاستقامة الثقافية لمن يزعم بأنه « مؤرخ يهودي شرقي » ، مضطلع بكشف النقاب عن « مأساة يهود الاقطار العربية » ، وهو الذي يجسر على ان يكتب : « واذا ما استثنينا محارق الجثث ، فان مجموع ضحايا المذابح الروسية والبولونية والالمانية ، لا يتجاوز في الغالب مجموع ضحايا المذابح الصغيرة المتعاقبة التي تعرض لها اليهود في الاقطار العربية » · انها قمة الخزي المتستر وراء الموضوعية الظاهرة للارقام · ونصفه بالخزي لاكثر من سبب ، لانه يقتبس طريقة احصاء الضحايا مثلما فعل النازيون في مخيمات الابادة ، ليقيم بها وضعية مختلفة في كل اجزائها ·

لا فائدة من الاستمرار في مناقشة ميمي ، وقد آن الاوان لنقطع الصلة مع نموذج الفكر الكلي القسري المميز لكل ايديولوجية ، والذي رأينا مثلا منه فيما عرضنا من أفكار ميمي · ان الانغلاق داخل وضعية مانوية ، وعدم قبول اي شيء اخر بالنسبة لليهود المغاربة خاصة ، سوى الخيار بين جهنم وعدن ، يوضح طريقة التفكير الخاصة بالفكر التعميمي المولد للاستلاب وبالتالي للخطأ · وهي لا تستطيع ان تقود الى الحقيقة أكثر مما تستطيعه الطريق الوسطى المصنوعة من الحل الوسط ومن النسبة الملائمة · ان كل مفهومية متوخية بكيفية تعسفية للكليات ، تقودها حركتها الخاصة الى نكران ما هو اخر غير مختزل ، وما هو نوعي في مغايرته وفي حقيقته ، وذلك لكون الفكر الكلي يعتمد على المطابقة وعلى اختزال الإشياء الى الهوية · وقد رأينا نموذجا لذلك عندما حاول البير ميمي أن ينكر وضعية متعددة مرتبة حسب تاريخية متقطعة ، وذلك عن طريق مجرد تأكيده لوجود نزعة لاسامية أصبحت اداة فعالة على المستوى العالمي ·

ما هي حظوظنا ، اذن ، في الافلات من شباك هذا الاغراء وتجنب هذا المنحدر القدري للتفكير الكلي القسري ؟ ألا توجد طرق اخرى نسلكها ، تساعدنا على الالتقاء باليهودي المغربي ، وعلى الاحاطة بالشخصيات الملموسة المعبرة عن حضوره ؟ لنعد الان الى الماضي والى التاريخ · انه لا يكفي ان نفضح رؤية سلبية ، مغلوطة قدمت لخدمة دعاية معينة ، بل من الضروري ان نستحضر شهادة التاريخ وان نتأكد من ثقل حضوره· ان هجرة اليهود المغاربة قد خلفت فراغا محزنا · ولا تكاد الاجيال المغربية الجديدة بما فيها الشبيبة اليهودية ، تعرف شيئا عن الماضي الذي يشكل جزءا لا ينفصل عن تاريخ الامة المغربية · ومن هنا يبرز خطر رجحان الفكرة القائلة بأن الاقلية اليهودية لم تكن سوى حدث عارض في الصيرورة التاريخية وبأن مآلها الى زوال ·

لكن ما هي العناصر التي نتوفر عليها اذا اردنا الوقوف في وجه هذا الخطر ، ونفي التشويه الذي يلصق بتاريخ المغرب ؟

اننا نعرف الصعوبات الكبيرة التي يصادفها مشروع كتابة تاريخ أقطار المغرب كتابة متحررة من الرؤية التي فرضتها الاسطوغرافيا الاجنبية · وقد تعرض لذلك عبدالله العروي في محاولته التركيبية : « تاريخ أقطار المغرب » · الا أننا نأسف كثيرا لكون العروي لم يتحدث عن اليهود المغاربة رغم انهم كانوا على صلة وثيقة بتاريخ المغرب منذ أقدم الفترات · ان هناك مواد اولية متصلة بهذا الموضوع ، وهي متباينة ومشتتة بسبب الحوافز الكامنة وراء الدراسات المختلفة التي نصادفها في هذا المجال · وينوب للمؤرخين القيام باحصاء هذه المصادر وبالتثبت من صلاحيتها · وبامكاننا ، من غير أن نضر بالبحث العلمي الذي ينتظر الانجاز ، أن نسوق بعض المعلومات عن تاريخ